

تاريخ القبول: 2026/05/06

تاريخ الإرسال: 2026/01/06

تاريخ النشر: 2026/05/23

**تلقي نظرية النص في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر
-نموذج حسين خمري-**

**The reception of text theory in contemporary
Algerian critical discourse : The case of Hussein
Khemri**

د.رشيد خلايفي¹

جامعة خنشلة (الجزائر)، rachid.khelaifi@univ-khenchela.dz¹

الملخص:

يتناول المقال موضوع تلقي نظرية النص في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر من خلال نموذج حسين خمري، حيث يسلط الضوء على كيفية استيعاب النقاد الجزائريين للمفاهيم النقدية الحديثة المرتبطة ببنية النص ودور القارئ والتأويل كما يبرز الطريقة التي وظف بها حسين خمري هذه الأدوات في قراءة النصوص الأدبية، مع تحليل مدى نجاح هذا التلقي في نقل النظريات الغربية وإعادة تكييفها بما يتلاءم مع الخصوصية الثقافية المحلية، ليخلص إلى أن النقد الجزائري عرف تطورا ملحوظا في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: نظرية النص، التلقي النقدي، الخطاب، التأويل

Summary :

The article addresses the reception of text theory in contemporary Algerian critical discourse through the model of Hussein Khemri. It highlights how Algerian critics have absorbed modern critical concepts related to text structure, the

role of the reader, and interpretation, and it demonstrates how Hussein Khemri employed these tools in analyzing literary texts. The study also examines the extent to which this reception represents either a mere transfer of Western theories or a process of adapting them to fit the local cultural context. It concludes that Algerian criticism has witnessed notable development in this field, despite ongoing challenges related to methodological grounding.

Keywords: Text theory, critical reception, discourse, interpretation.

1- مقدمة:

تطلق جملة من المصطلحات للتعبير عن تأثر الخطاب النقدي العربي بعمامة، والخطاب النقدي الجزائري بخاصة، بمختلف التيارات الفكرية والنقدية؛ منها المثاقفة، التأثير والتأثر، التلقي، للتعبير عن التفاعل المعرفي والمنهجي الذي يحدث بين الثقافة العربية والثقافة الغربية. أختار في هذه الورقة استخدام مصطلح "التلقي"، لما له من أهمية في استيعاب عدد من المفاهيم المرتبطة بالنقد الأدبي، الذي يعني بالدرجة الأولى "القراءة"، ثم إعطاء الأحكام، كما أن مصطلح التلقي يتجاوز مفهوم التأثير والتأثر الذي يدل في الدراسات المقارنة على التبادل المعرفي أو الثقافي بين أدبين على الأقل، وهو مصطلح يستخدم كثيرا في الدرس المقارن، لإثبات احتكاك الثقافات فيما بينها، أخذ ورد.

وسنحاول هنا أن نجيب عن جملة من التساؤلات التي تبلور إشكالية التلقي بالمفهوم النقدي الجمالي، منها: ما مفهوم التلقي في الخطاب النقدي المعاصر؟ ما علاقته بالنقد الأدبي؟ هل هو نظرية أدبية؟ أم هو نوع من التأريخ للأدب والنقد؟ وما إلى ذلك من التساؤلات التي يثيرها احتكاك الثقافات فيما بينها من خلال التركيز على آراء حسين خمري والمناخ النقدي في الجزائر.

2-التلقي في النقد (نموذج حسين خمري):

استخدم مصطلح التلقي لأنه يعني عمليا الجانب الإيجابي للتأثر بثقافة الآخر، كما يعني رد فعل القارئ، سلبا أو إيجابا، مما يستدعي حكما جماليا، يؤسس لفكرة أو رؤية وافدة على الثقافة المحلية، على مستوى البنية الفنية، كما على مستوى الأسلوب والرؤية الفكرية والجمالية، ومن ثم يلامس مفهوم التلقي قضايا النقد الأدبي، وفي الوقت نفسه يفسر ظاهرة جمالية تنتمي لنظرية الأدب، كما أنه يسجل مرحلة تاريخية لتطور الذوق الفني والجمالي.

حيث اخترت في هذه الورقة البحثية نموذجا واحدا، هو نموذج "تلقي نظرية النص" من مصدرها الفرنسي، بحكم احتكاك صاحبه بالثقافة الفرنسية، سواء أكان ذلك مباشرة أم عن طريق التأثر بالمناهج النقدية الغربية، التي اجتاحت مختلف خطابات الثقافة العربية وهو الناقد: الدكتور حسين خمري رحمه الله.

إذ يعد كتاب **نظرية النص** -من بنية المعنى إلى سيميائية الدال-، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007؛ من أهم ما كتبه في مجال النصية الأدبية (La textualité littéraire)، نظرا لأهميته في ميدان النقد الأدبي، كما يقر الناقد نفسه في بداية دراسته أنه يسعى إلى "البحث عن مفهوم النص كمفهوم نقدي إجرائي ومحاولة لتعيين حدوده واشكالاته"¹؛ والتي تجعل مفهوم النص المنطلق الأساسي لأبحاثه النظرية والإجرائية، حيث يبدو أنه قد بنى رؤيته هنا على الدلالة اللغوية للفظ "نص" باللغة الفرنسية (Texte)، التي تعني النسج والربط بين عناصر مختلفة من أجل بناء شكل ما، إلا أن هذا التركيز على النص يحدده وفق رؤية سيميائية، كما بدا لنا من خلال قراءتنا للكتاب، باعتبارها نظرة تتجاوز مفهوم النص الأدبي بالمعنى الكلاسيكي، الى فضاءات تعبيرية أخرى، كما يوضح هو نفسه حينما أشار في الموضوع نفسه إلى أن "نظرية

النص" من وجهة النظر السيميائية تتعدى حدود مفهوم النص الأدبي، وذلك باختلاف المرجعية التي تحيل عليها وإليها، مما يجعلها قابلة للوصف منهجيا والتي تسمح بالقول ومن خلال هذه الرؤية التوسعية تجاه النص بأن الناقد يسعى من خلال هذه الدراسة حول "نظرية النص"، إلى بلورة رؤية شاملة حول كل ما يشكل عنصرا للتواصل (Un élément de communication)، وفق تصور سيميائي لمفهوم النص، وهوما يتطلب تأسيسا للمرجعية الفكرية لهذا التصور.

وهو ما يبرر نزوعه السيميائي في دراسته هذه، إذ يقول موضحا بأن فكرة النظام (باعتبار أن لكل بنية منظومة من العلامات) جذابة من خلال "إشعاعات سحرية وميثولوجية"، ومن ثم فإن قراءة الأدب ونقده تتم انطلاقا من العلامات الدالة، أي إنها تدور حول فضاء الدال، وبالتالي فإن المنهج السيميائي هو القادر على فك نظام الخطابات المختلفة، وعلى هذا الأساس فإن النص نظام من العلامات الدالة، قابل للتحليل وفق رؤية تداولية، تمتد إلى ما لم يقله النص.

وتماشيا مع هذه المعطيات المعرفية حاولت نظرية النص عند حسين خمري، تجاوز النظرة التقليدية للأدب و مضمون الخطاب الأدبي في الآن نفسه، لتذهب إلى تحليل المكونات الأسلوبية، اللغوية، البلاغية، وكل ما يستخدم في الكتابة الإبداعية فنيا لخلق الجمال لهذا الخطاب، وتتناوله ككينونة بنيوية ولغوية مستقلة، تتكشف معانيها في سياق تداولي، من خلال الكشف عن الشفرات الخفية والجلية؛ غير أن أهم مشكلة يواجهها علم النص، كما يقول خمري²، هي تداخله مع عناصر معرفية ترتبط بالأدب، وبالتالي يجب أن نهتم بثلاثة مفاهيم أساسية هي: الأدب، علم النص، نظرية الأدب، من أجل إدراك وفهم الإشكالية ومن ثم تحليلها أو ممارستها.

ولكن في حدودها الوظيفية كما يرى حسين خمري³، بحيث كان لمجهودات جان بول سارتر (Jean Paul Sartre 1905-1980) في كتابه ما الأدب؟ وكتاب

رونيه ويليك (René Wellek 1903-1995) وأوسن وارين (Austin Warren 1899-1986) نظرية الأدب، بالغ الأثر في بداية تشكل مفهوم النص، إلا أن الرؤية نضجت واكتملت عند المنظر الناقد الهولندي تون فان دايك (Teun A. Van dijk-1943)، الذي وضع الأسس العملية لما سماه "علم النص"، في كتابه علم النص-مدخل متداخل الاختصاصات⁴.

في المقابل انطلق الناقد حسين خمري⁵ من مبدأ "النص المتعدد Le texte pluriel" الذي وضعه رولان بارت في تحديد مفهوم النص؛ حيث يوضح هذا المبدأ، مستعينا برؤية غريماس حول "سيمائية النص" (La sémiotique du texte)، بمعنى أن النص الفعلي هو الذي يتجدد مع كل قراءة، متجاوزا قيود الزمان والمكان، لأنه قابل لقراءات عديدة ومتجددة، على الرغم من تناقضاتها القابلة للبرهنة دوماً، هذا بخلاف النصوص غير الأدبية، التي تكفي بإيصال الرسالة أو إعطاء نتيجة علمية موضوعية.

3- مفهوم النص والأساس السيميائي:

لقد شكل البحث في مفهوم النص موضوعاً هاماً في الأبحاث اللسانية والسيميائية، خاصة في فرنسا في فترة الستينيات من القرن العشرين، من خلال المقالات المنشورة في مجلة تيل كيل⁶ (Tel-Quel) من طرف رولان بارت (Roland Barthes 1915-1980) جاك دريدا (Jacques Derrida 1930-2004) فيليب سولرز (Philippe Sollers 1936-2023). وكانت الباحثة جوليا كريستيفا (Julia Kristeva 1941)، من أبرز هؤلاء النقاد المنظرين في مجال نظرية النص، بحيث فصلت في مفهوم النص، من خلال مقالاتها المنشورة في كتابها سميوتيكى⁷ (Sémiotiké)، المتعلقة بالسيميائيات ونظرية اللغة، بحيث

وضحت فيه الحدود المنهجية لمفهوم النص، من خلال النموذج اللساني والسيمائي⁸.

حيث أشار حسين خمري في سياق استعانهه بمختلف المرجعيات التي بحثت معايير النصية (مفهوم النص)، إلى مفهوم الجملة عند النحاة العرب القدامى، الذي أخص على أنها "الكلام الذي يحسن السكوت عنه"⁹، الذي نقله من كتاب ابن عقيل شرح الألفية⁹، هذا نصه: "الكلام المصطلح عليه عند النحاة عبارة عن اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"؛ بمعنى أنه يربط هنا مفهوم الجملة بمفهوم النص فيما يتعلق بانغلاقه وانفتاحه، بحيث يرى بأن هذا المفهوم للجملة لا يختلف عما ذهب إليه أنور المرتجي¹⁰، حين قال بأن النص موضوع فعلي للسانيات، شأنه في ذلك شأن الجملة، وبالتالي فإن كل ما ينطبق على الجملة ينطبق على النص، ومن ثم ظهر نحو النص قياسا بنحو الجملة.

إذ يخلص في الموضع نفسه، بعد هذا الربط، إلى أن مفهوم النص لا يتحدد بطوله أو قصره، أي بالجانب الكمي، بحيث يمكن أن يكون "جملة" أو "كلمة" أو نصا طويلا كالرواية مثلا، إنما يقاس بنوعيته، بخصائص تميزه عن غيره من الخطابات؛ هذا ما قاده لعرض جملة من التعريفات والآراء النقدية لعدد من النقاد والمنظرين الفرنسيين، من أجل بلورة رؤية واضحة لمفهوم النص من بينها تعريف رولان بارت الذي يرى بأنه "تسيج من الدوال التي تكون العمل لأن النص هو التساوي مع اللغة ذاتها وأنه من داخل اللغة يجب أن تقاوم اللغة وأن تحول ليس بواسطة الرسالة التي تحملها والتي استعملتها كأداة ولكن عن طريق اللعب بالكلمات التي هي مسرح لها"¹¹ وللوهلة الأولى يبدو أن هذا المفهوم غير واضح كل الوضوح، لأنه يميل أكثر إلى الجانب الفلسفي، إنما الذي يلفت الانتباه فيه هو عبارة "تسيج من الدوال" التي تعطي تصورا عن شكل النص، أما الباقي فإنه يرتبط

أكثر بتفسير النص وليس بكيونوته، وهو ما قاد الناقد حسين خمري لاستعارة مفهوم النص من العالم اللساني هلمسليف¹² (Hjelmslev)، مكتفياً بقوله: "نظام إحالي (لغوي) يتجاوز الدلالة المعجمية البسيطة ونموذج التواصل اليومي"¹³؛ لاحظنا بأن العبارة "نظام إحالي"¹⁴ غير مستقيمة، ولا تؤدي وصفاً دقيقاً للفظ "نظام"، لهذا عدنا للمصدر، فإذا بها "نظام إحائي" (Système connotatif)، كما جاء في المعجم الموسوعي لعلوم اللغة (Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage)، الذي لخص تعريف النص وفق وجهة نظر هلمسليف، الذي يرى بأن النص منظومة إحائية، لأنه يأتي في المرتبة الثانية بالنسبة لمنظومة دلالية أخرى؛ فإذا نظرنا في المكونات الصوتية والنحوية والدلالية للجملة اللفظية، سنلاحظ المكونات نفسها في النص، لكن ليس بالضرورة أن تكون في المستوى نفسه، ومن ثم فإن النص يتطلب الحديث عن البعد اللفظي، الذي يكون مكوناً من جميع العناصر اللسانية البحتة للجمال التي تشكله (الصوتية، المفاهيم الوصفية والنحوية، الخ.)؛ والبعد البنيوي للجمال، بالرجوع إلى العلاقات بين الوحدات النصية (الجمال، مجموعات الجمال، الخ.)؛ ثم البعد الدلالي.

ومن أجل توسيع المفهوم إلى ما يسمى "اللسانيات الرياضية"؛ وهو المصطلح الذي ظهر نتيجة التفاعل بين اللسانيات والرياضيات، بحيث أخذت الأولى طابعها العلمي من الثانية، ومن ثم سعى الفكر الإنساني إلى توحيد العلوم و التوجه نحو الدراسات البينية (L'interdisciplinarité) والأجناسية (Ethnolinguistique)، وما إلى ذلك من المنهجيات التي تحاول الجمع بين مختلف المعارف والتخصصات، والتوجهات الفكرية التي ليست مجال بحثنا هنا؛ إنما الذي يهمنا أكثر هنا، هو ما جاء في تعريف النص عند حسين خمري، استناداً لهذا التحول نتيجة الاحتكاك بين مختلف العلوم والمعارف، الذي

جعله يقر بأن لفظة "نص" تحولت من اصطلاح نظري يشير إلى نصوص لغوية مكتوبة أو مطبوعة، ليخلص إلى أن "النص هو محاولة لوصف كل الممارسات الإنسانية في جانبها التواصلي والمعرفي وتعتبر الدليل المادي على النشاط الفكري"¹⁵، مما يعني بأنه -النص- متعدد الغايات، لا يقتصر هدفه في التواصل فحسب، إنما يتعدى ذلك إلى نقل الفكر والمعرفة عبر الزمن، مما يعطيه طابعاً إنسانياً.

كما يشير أيضاً إلى ما قدمته هيئة تحرير مجلة "تيكست" (Texte) في مشروعها المنشور في العدد الأول منها، والذي نقله كما أخذه حسين خمري من مصدره: "بالنسبة لنشرية تطمح إلى التوضع في مفترق الطرق بين الدراسات الأدبية في العصر الحديث؛ فعنوان "النص" يفرض نفسه كبدئية. ذلك لأن النص هو ذلك العنصر الذي لا يمكن الاستغناء عنه، الوحيد، في النشاط الأدبي ويمثل نقطة تلاقي اهتمام النقاد، والمشتغل بنظرية الأدب والمنظر ومؤرخ الأدب ويمكن اعتباره أيضاً نقطة تماس بين الكاتب والقارئ، إن مفهوم "النص" هو ذاته الذي سيكون موضوع المناقشة... إن تطور النقد والنظرية يتعلق بتفاعلها المستمر، وهو الذي يسمح للناقد بالتفكير حول نشاطه وللمنظر الخضوع لرقابة الأحداث الأدبية التي هي النصوص"¹⁶؛ حيث يتضح من هذا المشروع الذي تبنته هذه المجلة، أن مفهوم "النص" يتقاسمه النقد الأدبي ونظرية الأدب، لأنه لا يمكن الاستغناء عنه في المجالين، كما أنه يلامس اهتمامات مؤرخ الأدب، وبالتالي يتجاوز كل هذا إلى نقطة يلتقي فيها الكاتب والقارئ. كان هدف هذه المجلة بلورة رؤية حول مفهوم "النص" في ضوء علاقاته المتنوعة والمختلفة (النقد الأدبي، نظرية الأدب، تاريخ الأدب، التفاعل بين الكاتب والقارئ). وتذهب هذه المجلة إلى أبعد من ذلك، كما يوضح حسين خمري بحيث اتخذت من مفهوم النص، بوصفه مفهوماً محورياً، مفهوماً يتجاوز

الدراسات الأدبية ويمتد إلى جميع الخطابات بأنواعها المختلفة، بمعنى أن محاولة ضبط حدود مفهوم النص، تقتضي التوسع نحو مفهوم الأدب نفسه.

وعلى هذا يرى الناقد حسين خمري¹⁷، بعد هذا العرض الوافي للمرجعيات التي سعت إلى تحديد مفهوم دقيق لـ "النص"، أنه لا يكفي أن نعتمد عليها لتحديد مفهوم دقيق له، ومن ثم يجب أن نبني مفهومًا أكثر دقة، بالاعتماد على الأبحاث البنوية والسيمولوجيا، كما يرى صلاح فضل في كتابه **بلاغة الخطاب وعلم النص**، الذي ميز بين مفهوم "النص" بوصفه نتاجًا لغويًا ذا بنية خاصة، ومفهومه بوصفه نصًا أدبيًا الذي هو ممارسة لغوية ذات نوعية خاصة، تستخدم اللغة استخدامًا فنيًا أو جماليًا.

4- معايير النصية والفرق بين النص واللائص:

وفي هذا يستخلص مفهوم آخر للنص، مستندا لوجهة نظر الناقد المغربي محمد مفتاح، الذي ينطلق من التساؤل التالي: ولكن ما هو النص؟ وفي إجابته يرى بأن الانسجام والتركيب هما العنصران الأساسيان في ضبط معالم النص، أي إن الجانب الشكلي هو الأهم في تحديد مفهوم النص، لأن ما يميزه عن غيره هو اتساق العلاقة بين الكلمات، باعتباره -الاتساق- الخيط الذي يربط بينها من أجل توليد الدلالة، لأنه يجسد "العلاقة المعنوية بين الجمل علاقة عموم بخصوص أو علاقة تضمن. ومفهوم الانسجام هو أعم؛ انسجام النص مع العالم الواقعي. إذ إن كل نص هو كل متتالية من الأفعال الكلامية المترابطة"، ويواصل محمد مفتاح موضحًا بأن "النص عبارة عن متتالية من الجمل بينها علاقة من العلاقات، ومتى انعدمت هذه العلاقة لا يبقى هناك نص"¹⁸؛ يتضح بأن علاقة الانسجام بين الجمل من السمات الأساسية في نصية النص، شريطة أن تكون هذه الجمل متسلسلة في مسار ترتبط عناصره -جملة- بعلاقة ما، وغياب هذه العلاقة يعني انتفاء صفة النصية.

وبعد هذا الطرح يخلص خمري إلى أن مفهوم النص يتميز بخاصيتين أساسيتين، هما التتضيد، بمعنى التركيب الذي يتحقق على مستوى الشكل؛ والاتساق الذي يقوم بربط العلاقات بين الكلمات والجمل، من أجل توليد الدلالة.

بناء على هذه الخلاصة يوضح مفهوم "التركيب"، ما دام عاملاً أساسياً في نصية النص؛ فالتركيب على مستوى البنية يعني التماسك (Cohesion)، وهذا يتم لوصف علاقة الوحدة في البنية الصغرى للنص في حين أن "الاتساق" يشير إلى مفهوم الانسجام (Cohérence)، وهذا يتم لوصف علاقة الوحدة على مستوى البنية الكبرى، وهنا يؤكد الناقد على "أن انسجام النص لا يمكن اعتباره عنصراً تزيينياً يمكن مفصلته في جزء معين أو محدد من النص ولكنه يتوزع على كامل مساحته ويعمل على تدعيم العلاقة بين متخيل النص والنص المنجز"¹⁹؛ بمعنى أن هذين العنصرين أساسيان في نصية النص، ويمتدان من بدايته إلى نهايته، ولا يمكن الاستغناء عنهما مهما كانت الأسباب، كأن تكون بلاغية مثلاً، أو نحوية، لأنهما من شروط تحقيق النصية.

يلاحظ، بعد أن عرض جملة من المفاهيم²⁰ حول النص، التي ركز فيها على مصطلح الانسجام، بأن هناك فهماً خاطئاً لـ "طبيعة النص"، مما أدى إلى "خلط بين نحو النص ونحو الجملة"، كما يقول²¹، موضحاً ذلك بأن النص ليس "جملة" أو "قضية" أو "مركب"، وبالتالي يجب تمييزه عن الفقرة، التي هي عبارة عن متتالية من الجمل، لأن النص، بحسب المنظر تدوروف، يمكن أن يكون "جملة"، كما يمكن أن يكون كتاباً؛ لأنه "يتحدد بواسطة استقلاليته وانغلاقه (على الرغم من أن بعض النصوص ليست منغلقة. ويشكل (النص) نسقاً لا ينبغي مطابقته مع النسق اللسني ولكن وضعه في علاقته معه".

كما يعود خمري مرة أخرى ليؤكد على مسألة "الانسجام" و "الاتساق"، على أنها من قضايا النحو التوليدي، وتعني "ربط الكفاية النصية بالإنجاز الفعلي للنص، والانتقال من التصور المفهومي المجرد إلى التحقيق الفعلي"²²؛ يشير في الموضوع نفسه إلى أن هذا المصطلح أخذه فان دايك من النحو التوليدي، وهذا ما يدعوه النقد الإنجليزي "النصية" (Texture).

يوصل موضحا مسألة "الانسجام"، نظرا لأهميتها في تماسك النص، على أنها توافق بين "علم النحو" و"علم البلاغة"، لأن هذا التوافق "يضمن انسجاما داخل النص، ومن غير هذا التوافق يصبح النص عبارة عن شكل مفكك، وبالتالي يجب أن تحدد السلسلة التي تمثل درجة الصفر من طرف المعيار النحوي للغة الطبيعة. ففي مقابل هذه الدرجة ينشأ نحو ثان يصف "بلاغية" الدليل اللساني على المستوى السيميوتركيبي"²³؛ نلاحظ من اقتباسات الدكتور حسين خمري بأنه يميل باستمرار إلى كل ما له علاقة بالسيميائيات، خاصة ما يتعلق بفكرة البناء، لأن السيميائ في جملتها نشاط إجرائي لتحليل بنى المعنى، ومن بين هذه البنى البنية النحوية والبنية البلاغية، اللتان تتضمنان معنيين مختلفين، على الرغم من أنهما متكاملتين من حيث الوظيفة الإبداعية والتواصلية؛ كأن تتحول البنية النحوية في بعض المواقع من النص إلى بنية بلاغية، مما يعني بأنه لا يمكن أن نعتمد على البنية النحوية لتعريف انسجام النص²⁴؛ هذا ما قاده إلى الاستعانة برؤى فاين دايك مرة أخرى لتعريف الانسجام النصي، الذي ينطلق من فكرة التالي الجملي، أي إن النص هو عبارة عن مجموعة من الجمل المتتالية، مستندا إلى طرائق إجرائية أوجدها النحو التوليدي، الذي يعتبر النص موضوعا من موضوعات النظرية اللسانية.

كما يتضح ذلك من وخلال مقولة جاك دريدا "لا يوجد ما هو خارج النص" (n'y a pas de hors-texte)²⁵، حينما تحدث عن "غياب المرجع أو المدلول

المتعالي"، ضمن قراءته لـ جون جاك روسو²⁶، ويقول بـ "أن ما يفتح المعنى واللغة هي هذه الكتابة بوصفها اختفاء للحضور الطبيعي"، بمعنى أن الكتابة تغييب للواقع الطبيعي.

أشرنا إلى ما يلامس مفهوم النص عند دريدا، من أجل إعطاء رؤية شبه متكاملة لهذا المفهوم الذي تناولته مختلف المدارس النقدية، كما اتضح لنا من خلال مؤلف حسين خمري هذا، كما أشرنا أعلاه. ولتوضيح المفهوم أكثر، وتحديد حدوده البنيوية والدلالية، انتقل إلى التمييز بين "النص" و"اللانص"²⁷ (Non Texte)، مبينا أن "اللانص" يختلف عن "النص"، على الرغم من أنه يستخدم اللغة نفسها، ويلتزم قدر الإمكان بمعايير النحوية، إلا أنه لا يقترح على مستوى الدلالة إلا دلالة واحدة، لأنه ينحصر في حدود العلاقة بين دال ومدلول، ليؤدي وظيفة تواصلية فحسب، في لحظة زمنية معينة، وبعبارة أوضح "اللانص" يقوم بتوجيه خطاب تجاه متلق في ظرف محدد زمنيا ومكانيا، كأن تكون رسالة موجهة لشخص بعينه، أو خطبة موجه لغرض سياسي أو لإيديولوجي.

يحتل النص فضاء محددا وفق ما تحمله الرسالة، لأن تطابق الدال مع المدلول لا يجعل الرسالة تتفتح أكثر مما تحمله من دلالة، كما أنه لا يحمل محتوى ثقافيا، كما في النص الأدبي مثلا، الذي يكون عادة مشحونا بمرجعيات ثقافية متنوعة ومختلفة. ولعل الخاصية المهمة التي تميز "النص" عن "اللانص" هي جدلية الانغلاق/الانفتاح، بحيث يتميز النص بـ"الانفتاح"، في حين أن "اللانص" يتميز بـ"الانغلاق".

ومن أبرز ما تأثر به الخطاب النقدي الجزائري المعاصر أيضا، مسألة "وظائف النص"، التي اعطاها الدكتور حسين خمري أهمية خاصة، بعد هذا التمييز بين النوعين من النصوص، انتقل إلى الحديث عن وظائف النص، انطلاقا من فكرة

الانفتاح التي يتميز بها؛ فما دام كذلك فإنه يؤدي وظائف عديدة، تتمثل هذه الوظائف في وصف مستوياته، بخاصة مستوى القراءة، التي تسعى إلى الوقوف على دلالاته؛ هذا بناء على ما دعت إليه السيميائيات الحديثة، التي ترى أن وظيفة النص يمكن استخلاصها من خلال تحليل العلاقات الموجودة داخل نظامه البنيوي، وانطلاقاً من هذه العلاقات يمكن تحديد "مستوى الوظيفة المهيمنة"، لأن وظيفة النص حسب خمري تبرز من خلال جملة العلاقات التي تربط عناصر النص، منها علاقته بالبنى اللغوية التي ينتمي إليها، وعلاقته بشكل الجنس الأدبي الذي يحدد طبيعته، علاقته بمؤلفه وقارئه، وما إلى ذلك من العلاقات التي لخصها الناقد.

5-وظائف النص والقراءة والتناص:

"تحدد من خلال مجموعة من العلاقات منها علاقة النص بالنظام اللغوي وعلاقة نظام النص بنظام الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه وعلاقة النص بقائله، وعلاقة النص بمتلقيه"؛ بعد هذا يمكن للمتلقي أن يحدد من خلال هذه الوظائف الشكلية، جملة من الوظائف المتضمنة في النص، نلخصها فيما يلي:

- الوظيفة التنظيمية، باعتبار النص "علامة تتحرك داخل فضاء ثقافي".
- وظيفة اجتماعية، تتمثل في تعبير النص عن تجربة حياتية معينة، التي يمكن استثمارها في حقول معرفية أخرى.
- وظيفة تناصية تحدد الجدلية القائمة بين الذات والآخر.
- وظيفة تأثيرية مرتبطة بالأثر الذي يتركه في وجدان القارئ
- وظيفة جمالية مرتبطة بالمتعة التي يولدها النص.
- وظيفة سيميائية كونه يشتغل بواسطة الرموز والعلامات لإنتاج المعنى.
- وظيفة ثقافية، لأن كل نص في حقيقته هو حدث ثقافي.
- وظيفة تواصلية تجعل من النص معبراً لاستمرار الحوار بين الكاتب والمتلقي.

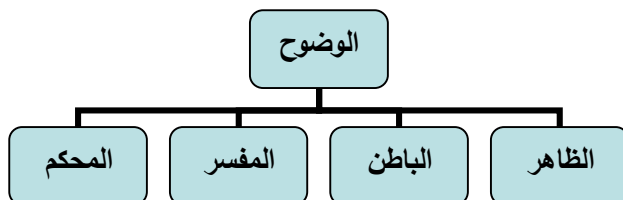
تتقاطع هذه الوظائف جميعها في لحظة إنتاج النص، مما يؤدي إلى الحديث عن كيفية إنتاج النص وشروطه، لهذا نجد الناقد خمري²⁸ يؤكد على أن النص لا يولد من فراغ لأنه ينتج بطريقة إرادية واعية محكمة، بمعنى أن إنتاج النصوص لا يأتي من فراغ، بل يأتي من خلال مرجعيات نصية سابقة أو تزامنت معه، أي إنه ينتمي إلى مرجعية نصية محددة؛ فالنص معرض لأن يقتبس منه كما قد يضاف إليه أو يشرح أو يؤول، ويعطي الناقد مثلاً لذلك بالنص القرآني الكريم، يقول موضحاً: "النصوص التي عرفت أكبر عدد من التفسيرات، ذات المستويات المختلفة، معرفية، فقهية، تاريخية[...]" هي النصوص الدينية والنصوص المقدسة والقرآن الكريم كنص ديني والذي أعرفه أكثر من النصوص الدينية تتجاوز تفسيراتها سعة مكتبة وهذا التراكم من التفسيرات قد حدث على مدى خمسة عشرة قرناً، أي منذ نزوله²⁹؛ فهذه التفاسير هي نصوص موازية، باعتبار أن التفسير كتابة عن الكتابة وتأويل للتأويل. لقد ظهرت تفاسير (نصوص)³⁰ عديدة بتوجهات مختلفة فقهية ولغوية ومعرفية وتاريخية.

ويتضح من هذا أن إنتاج النص لا يتوقف عند حدود الإرادة الفردية للكاتب، إنما يستدعي أثناء تأليفه مرجعيات عديدة ترتبط بحاضر النص المنتج، أو ترتبط بنصوص سابقة من الجنس نفسه أو من نصوص تفاعل معها من أجناس أدبية أخرى. حولت هذه الرؤية النقدية أنظار الدارسين والباحثين تجاه ما عرف بـ"التناص" (L'intertextualité)، الذي أصبح أداة أساسية من أدوات تحليل النصوص الأدبية.

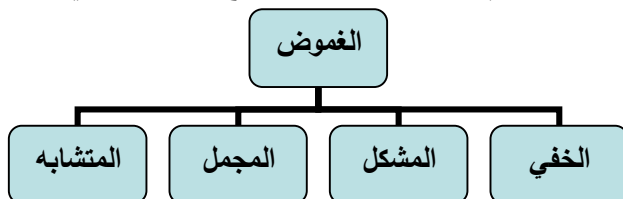
انتقل الناقد، بعد توضيحه مسألة وظائف النص، إلى قضية أخرى على قدر من الأهمية، هي "القراءة" بوصفها شكلاً من أشكال إنتاج النص، وهي، وفق ما يراه، عملية إعادة بناء للمعنى، سواء أكان ذهنياً أم على الورق. استدل بما ذهب إليه

السيمياثيات، بحيث إن مفهوم القراءة عند السيميائيين يدل "على طريقة إجرائية في التحليل والتي تستعمل بغرض إعادة بناء المعنى والتي تتشكل من خلال الدوال"³¹؛ التي تتجاوز الحدود الشكلية الثابتة التي أقرتها البنيوية. بناء على ذلك يرى بأن القراءة لا تقف عند هذا المفهوم المحصور في إعادة بناء المعنى، بل قد تتعداه إلى معنى ثان، هو "التحويل"، انطلاقاً من أن القراءة في حد ذاتها "وظيفة سيميائية Sémiosis وهي نشاط أساسي وظيفته دمج المضمون بالتعبير وتحويل سلسلة من التعبير إلى متتالية من العلامات، والقراءة هي إعادة صياغة النص ودمجه ضمن منظومة سيميائية جديدة وبنية دلالية مغايرة"³²؛ نفهم من هذا التفسير للقراءة، بأنها إنتاج أيضاً، شأنها شأن إنتاج النص، ومن ثم فهي عملية إجرائية لإنتاج النصوص.

هذا، والذي لاحظناه أنه -حسين خمري- ركز من جهة أخرى على أهم النظريات التي أسهمت في تشكيل مفهوم النص في الثقافة العربية والإسلامية؛ فالنص تراثياً جاء "ضمن منظومة مفاهيمية متكاملة ومتداخلة ليستعرض مفهوم النص على المستوى المعجمي في لسان العرب لابن منظور. وعلى مستوى الطروحات الفقهية عند الإمام الشافعي منشئ علم الأصول، وقد أورد ذلك في كتابه (الرسالة)، وقد أدخل علماء العربية على مختلف مشاربهم مفهوم النص، ضمن منظومة مفاهيمية تتوزع على محورين: محور الوضوح الذي يتشكل من أربع خصائص، هي:



ومحور الغموض والذي يتشكل هو أيضا من أربع خصائص، هي:



ارتبط ظهور هذه الخصائص النصية بتفسير النص القرآني، وقد ركز الناقد خمري أساسا للبحث والمعينة على كتاب أصول السرخسي، لصاحبه أبو بكر بن أبي سهيل السرخسي، كأحد أبرز المنظرين لقيم الوضوح والغموض. بناء على ما سبق يستنتج الناقد -خمري- أن الدلالة عند نقاد الأصول تتحرك دوما ضمن حقل معرفي واسع، يشمل علوم العربية والمنطق إلى علوم الكلام، وذلك في مسعى للقبض على المستويات المختلفة للدلالة³³؛ بمعنى أن النص ينفتح على معارف عديدة، لأنه مشحون بسياقات ثقافية تحملها مختلف الأنساق التي هيكلت النص.

6-خاتمة:

- في ضوء ما سبق، يمكن استخلاص جملة من النتائج الأساسية التي تلخص تصور حسين خمري لمفهوم النص في الخطاب النقدي المعاصر.
- تأسس مفهوم النص عند حسين خمري على رؤية سيميائية إجرائية تتجاوز حدود الأدب إلى مختلف أشكال التواصل.
 - تتحقق النصية من خلال التماسك والانسجام بوصفهما أساس الوحدة الدلالية والبنائية.

- يقوم النص على الانفتاح الدلالي والتعدد في مقابل "اللانص" بوصفه محدود الوظيفة.

- يرتبط إنتاج النص بالتناص والتفاعل ضمن شبكة ثقافية واسعة.

- تعد القراءة عملية إنتاجية تعيد بناء المعنى وتنتج نصا جديدا، وهوما يعكس تأثره بالمناهج النقدية المعاصرة.

حيث تؤكد هذه النتائج أن تصور حسين خمري للنص يعكس وعيا نقديا حديثا يواكب تطورات المناهج السيميائية ويسهم في إثراء الخطاب النقدي المعاصر.

الإحالات:

¹ حسين خمري: نظرية النص (من بنية المعنى إلى سيميائية الدال). ط1. الدار العربية للعلوم، بيروت، 2007، ص: 14

² - ينظر: حسين خمري، نظرية النص (من بنية المعنى إلى سيميائية الدال)، ص: 18

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص

⁴ - تون فان دايك: علم النص-مدخل متداخل الاختصاصات-. ترجمة وتقديم: سعيد حسن بحيري. دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001. الكتاب قابل للتحميل

<https://www.noor-book.com/-pdf>

⁵ ينظر: حسين خمري، نظرية النص (من بنية المعنى إلى سيميائية الدال)، ص: 41

⁶ مجلة (Tel Quel) مجلة أدبية فرنسية تقدمية، تأسست سنة 1960 في باؤيس في منشورات لوساي (Editions du Seuil)، من طرف مجموعة من الشباب مجتمعين حول جون إيدرن هالييه (Jean-Edern Hallier) وفيليب سولر (Philippe Sollers)، وآخرون. كان هدفها إعادة تقييم كلاسيكيات تاريخ الأدب. تعود تسمية المجلة إلى قول ماثور ل نيتشيه (Nietzsche)، مفاده "أريد العالم وأريده كما هو (Je veux le monde et le veux TEL et le veux encore...)". تأسست هذه المجلة منذ سنة 1966، بسبب نشرها انتقادات قاسية ضد التدخل الأمريكي في فيتنام. اهتمت بالبنوية بتأثير من رولان بارت، ثم الفرويدية، وأخيرا توجهت نحو الماوية نسبة لماو تسي تونغ، التي تعني الماركسية المنسوبة

لهذا القائد الصيني (Maoïsme). منذ سنة 1968 التزمت المجلة باليسار، واثارت ضد الإمبريالية الأمريكية، وطالبت بحرية تعبير أكبر في فرنسا.

- للتوسع ينظر: [https://fr.wikipedia.org/wiki/Tel_Quel_\(revue\)](https://fr.wikipedia.org/wiki/Tel_Quel_(revue))

⁷ العنوان الأصلي للكتاب:

- Julia Kristeva. Sémiotiké. Collection « Tel Quel », Aux Editions Du Seuil, Paris ; 1969

⁸ - ينظر: حسين خمري: نظرية النص - من بنية المعنى إلى سيميائية الدال-، ص: 44

⁹ ينظر: بهاء الدين عبد الله بن عقيل: شرح ابن عقيل. ط20. نشر وتوزيع دار التراث، القاهرة، 1980. ص: 14

- على الموقع: <https://www.noor-book.com/>

¹⁰ ينظر: حسين خمري: نظرية النص - من بنية المعنى إلى سيميائية الدال-، ص: 44، نقلا عن: أنور المرتجي. سيميائية النص الأدبي. إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987، ص: 84

¹¹ - المرجع نفسه: ص ن

¹² - (Louis Hjelmslev 1899-1965)، لساني دنماركي، طور أفكار دو سوسير، ومؤسس علم المعاني (Glossématique). يعد مرجعية أساسية في الدرس الساني الحديث والمعاصر.

- للتوسع ينظر: https://fr.wikipedia.org/wiki/Louis_Hjelmslev

¹³ - حسين خمري: نظرية النص - من بنية المعنى إلى سيميائية الدال-، ص: 43

¹⁴ هكذا وردت في المرجع نفسه، ص ن

¹⁵ حسين خمري: نظرية النص - من بنية المعنى إلى سيميائية الدال-، ص: 47

¹⁶ حسين خمري: نظرية النص - من بنية المعنى إلى سيميائية الدال-، ص: 47. نقلا عن:

- Texte (Revue de critique et de théorie littéraire). Pp : 5-6, n=1, Toronto (CANADA)

¹⁷ المرجع نفسه، ص: 48

¹⁸ - محمد مفتاح: التحليل السيميائي - أبعاده وأدواته - (حوار)، دراسات سيميائية أدبية لسانية، عدد1، فاس، المغرب، 1987. ص: 17. نقله حسين خمري في: نظرية النص - من بنية المعنى إلى سيميائية الدال-، ص: 48

¹⁹ - المرجع نفسه: ص: 49

- ²⁰ - ينظر: المرجع نفسه: ص ن
- ²¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 50، نقلا عن:
- عثمانى الميلود. شعرية تودوروف. نشر عيون المقالات، طباعة دار قرطبة، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص: 56
- ²² حسين خمري: نظرية النص -من بنية المعنى إلى سيميائية الدال-. ص: 49
- ²³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 50؛ نقلا عن:
- بليث هينريش: البلاغة والأسلوبية-نحو نموذج سيميائي لتحليل النص-. ترجمة: محمد العمري. منشورات سال، فاس، المغرب، 1989. ص: 42
- ²⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص: 50
- ²⁵ Jacques Derrida. De la grammatologie. P: 227
- ²⁶ هو (Jean Jacques Rousseau 1712-1778) . كاتب وفيلسوف وموسيقي فرنسي، تربي يتيم الأم، في وسط شعبي في جنيف بسويسرا التي عاش فيها حياة تشرد. كان في صراع مع الكنيسة الكاثوليكية والجمهورية في سويسرا، مما اضطره إلى الرحيل إلى باريس، اكتسب شهرة كبيرة نظير مؤلفاته الكثيرة حول حقوق معرفية مختلفة. للتوسع راجع: https://fr.wikipedia.org/wiki/Jean-Jacques_Rousseau
- ²⁷ - المرجع نفسه، ص ص: 57-58
- ²⁸ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 79
- ²⁹ - المرجع نفسه، ص: 85
- ³⁰ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 88
- ³¹ - المرجع نفسه، ص: 95
- ³² - المرجع نفسه، ص: 95، نقلا عن:
- Greimas, Algirdas Julien, Courtés Josep. Sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage. Hachette, Paris, 1979. P : 206
- ³³ - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.